التلطف في خطاب الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ
آيات من سورة القلم
دراسة بلاغية تحليلية كلية

دكتورة/ هند بنت جميل نايتة
أستاذ علم البلاغة المشارك
جامعة نورة بنت عبد الرحمن- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

تنتظم سورة القلم في عقد السور المكية من سور المفصل، وأظهر الأساليب البلاغية التي وردت فيها: أسلوب الخطاب الذي استحوذ على آياتها جميعاً، وأما الآيات الأولى (من ١-٧) ؛ فإنها تميزت باللطف في خطاب رسول الله ﷺ، لتقرير النبوة والدفاع عنه عليه الصلاة والسلام، وتبرئته مما رماه به أعداؤه، وبأن أجره ممتد في الدنيا والآخرة دون انقطاع، ومن أشهر ما عرفت به هذه السورة أنها سورة الخلق، وأن الرسول ﷺ هو أكمل الناس، وأن خلقه القرآن.

وناسب موضوع السورة ومقصدها، أن تفتتح بأحد الحروف المقطعة إشارة أهمية العلم بكتاب الله ﷻ الذي يعلم الناس الخلق الحميد، ويبين لهم الطريق المستقيم الذي جاء به نبينا ﷺ، ثم القسم المعظم بآلة العلم: القلم والسطر، لبيان عظمة أخلاق النبي ﷺ، وأنه غير مجنون -حاشا نبينا عليه الصلاة والسلام.

ولقد جاء التعبير عن كل ذلك بأسلوب جزل، فيه من عذوبة الخطاب، ولطفه ما يناسب مقام النبي الذي لحقه أذى قومه متتابع، وتجرؤ على مقام النبوة، وعلى مقام الدعوة إلى الله ﷻ، وثنايا البحث تُكشف أسرار بإذن الله تعالى.

research summary

surat Al-Qalam is one of the makki and Al-Mufassal surahs. The language that is used in all verses of this surah depends on oratory. The speech with the prophet in verses (1-7) is distinguished by kindness to confirm his Prophecy and to defend him against opponents' accusations. Also, the verses reveals the everlasting rewards that the prophet will receive until the day of judgment.This surah is also known as a chapter of morals. The prophet is the greatest and the perfect example for the mankind and his moral was the Quran.

The subject and the message of this surah are appropriate to start it with a mysterious letter (Muqatta□āt) to point out the importance of knowledge in Quran, which teaches people the morals, and brings to light the straight path that the prophet follows. Then, Allah swears by the knowledge machine; by the pen and by the record which men write, to state the greatness of the prophet's morals; he is not a madman. All of that has been expressed in a powerful and effective language that suits the prophet's status after being hurt by his folk. The research will reveal more secrets inshallah

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.

فإنه لما كان القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية للناس كافة على مر العصور، فناسبه أن يكون الإعجاز البياني معجزة له، ومن أظهر صور الإعجاز البياني فيه الخطاب بمختلف وجوهه، وتصاريف مخاطباته، ليؤدي رسالته في التأثير على المخاطبين، ولما كانت المناسبات القرآنية متباينة، وكذلك المخاطبين؛ فإنني اخترت خطاب الله ﷻ لنبيه ﷺ في القرآن الكريم، وقد ازدهت آيات القرآن الكريم بمختلف أنواع خطاب رسول الله ﷺ، وكثرت فيها الدراسات، فإنني قد اخترت موضوع (التلطف في خطاب الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ في آيات من سورة القلم دراسة بلاغية تحليلية كلية)، وأما تخصيص الدراسة بسورة (القلم) فلما تضمنته من قيم أخلاقية سليمة تصلح للبشرية عامة، وللمؤمنين بخاصة؛ لأنها من لدن حكيم خبير بنفوس عباده وضمائرهم، كما وجدتها من جانب آخر قد استهلت في مطلعها بصور مختلفة من توكيده، والتلطف والتعظيم لشأن المصطفى ﷺ ليؤدي الرسالة السماوية على أكمل وجه، كما أراد لها ربُّ العالمين، وأسلوب الخطاب أصيل في ذاته، عريق في وجوده، ممتدة جذور دراسته كتب علماء المسلمين، وإن ارتدى ثوب الدراسات الحديثة إلا أن ما صنعه الأوائل يظل كالنهر الذي يغذي روافده دون انقطاع.

الدراسات السابقة:

لقد كانت عناية الدارسين والباحثين بسورة (القلم) على النحو التالي:

- الجانب الخلقي من سورة القلم، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، قسم، كلية أصول الدين – الرياض – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، ١٤٢٠ه، منشور على النت.
- تأملات من خلال سورة (القلم)، لعبد المجيد محمد الغيلي – ٢٠١٦هـ، منشور على النت.

- التناسق الموضوعي في سورة القلم والحاقة، رسالة ماجستير – إعداد الباحث محمد أبو بكر تابيلي، مقدمة من كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة.
- تحليل لغوي أسلوبي لسورة (القلم). د. محمد مريني – بحث منشور في النت المقدمة فقط.
- سورة القلم دراسة في العلاقات الإشارية. د. نوار محمد إسماعيل، جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ٢٠٠٩م، منشورة على النت.
- المضامين التربوية المستنبطة من سورة (القلم) وتطبيقاتها التربوية، إعداد الطالب عبد الرحمن سليمان بركات الدبيسي – قسم التربية الإسلامية والمقارنة– أم القرى – مكة المكرمة للعام ١٤٣١هـ.

كما وجدت السورة مفسرة ومحللة في مصادر كتب التفسير القرآني والبلاغي في تراث علمائنا.

أما دراسة بعض آيات تلطف الله ﷻ مع رسوله ﷺ فلم أجد لها دراسة بلاغية سابقة تسير وفق الخطة التي سأقدمها بإذن الله تعالى.

وتقتصر الدراسة على بعض الآيات التي جاء الخطاب فيها بأسلوب تميز بلطف خاص به ﷺ الذي ستبينه خطة الدراسة بإذن الله تعالى.

منهج الدراسة:

هو المنهج التحليلي الكلي[1] لأن به تظهر دقائق المعاني من بعد بيان أثر ترابط أجزاء الجملة مع بعضها ثم الجملة مع الجمل الأخرى.

خطة البحث:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب دراسته، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في دراسة الآيات المباركة موضوع البحث.

([1]) ويقوم هذا المنهج على إدراك صورة الآيات الكريمة كلياً، ثم تحليل هذه الصورة الكلية الكبرى إلى وحدات أصغر في صور أصغر، ويستمر التحليل حتى نصل إلى المفردة، ثم الروابط والأدوات وأثرها في أداء المعنى. ينظر: مدخل إلى البحث البلاغي أ. د. إبراهيم صلاح الهدهد ص ٤٣، مطبعة دار الإيمان، وينظر مناهج التراث في دراسة بلاغة القرآن الكريم ٨٩– ٩٠ أ. د. سعد الدين شحاتة.

التمهيد:

أولاً: معنى الخطاب: أ- لغة. واصطلاحاً، ب- الفرق بين الحوار والخطاب. جـ- الخطاب في تراث البلاغيين.

ثانياً: التعريف بسورة القلم من حيث:

١- اسمها.

٢- مكان نزولها.

٣- المراد بـ(القلم).

٤- منزلة سورة (القلم) بين السور الأخرى

٥- المحور الذي تدور عليه السورة المباركة، وارتباطها بسابقتها في سورة (الملك).

ثالثاً: الدراسة التطبيقية.

وتتكون من مبحثين:

المبحث الأول: أنماط خطاب اللع ﷻ لنبينا محمد ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التلطف في الخطاب بإعظام القسم

(الآية ١)

المطلب الثاني: التلطف في خطاب الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ

(الآيات ٢-).

المبحث الثاني: التلطف في خطاب الله ﷻ لتثبيت نبينا ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تلطف خطاب الله ﷻ بضمان الوعد لنبينا محمد ﷺ (الآيتان ٥-٦).

المطلب الثاني: خطاب الله ﷻ شهادة لنبينا ﷺ بالهداية (الآية ٧).

رابعاً: الخاتمة، وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

ثم ثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يدلني على الطريق المستقيم، وأن يعصمني من الزلل، والتجرؤ على كتاب الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ، وما في هذا البحث من صواب؛ فمن الله تعالى، وما فيه من خطأ؛ فمن نفسي ومن الشيطان.

ولا يفوتني أن أقدم من الشكر أجزله، ومن الدعاء أعظمه إلى من أن يقوّم بحثي، ويريني خطئي، وكذلك أشكر من ساهم في نشره وإخراجه.

وأخيراً أقدم عملي خالصاً لوجه الله تعالى، وأهدي أجره لوالديّ الكريمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

التمهيد

أولاً: معنى الخطاب:

لغة: الخاء، والطاء، والباء أصلان: أحدهما: الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خطاباً، والخِطْبة: الكلام المخطوب به، والخَطْبُ يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة[١].

اصطلاحاً: «اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه احترزاً (باللفظ) عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، وبالمتواضع عليه عن الألفاظ المهملة، وبالمقصود به الإفهام، عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع؛ فإنه لا يسمى خطاباً، وبقوله: «لمن هو متهيئ لفهمة» عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم»[٢].

والفرق بين الحوار والخطاب؛ أن الحوار: مراجعة الكلام بين طرفين، والمحاور، والمحور والمحورة: مراجعة النطق، وتحاوروا تراجعوا: أي تراجعوا الكلام فيما بينهم[٣].

أما الفرق بين الكلام والخطاب في العموم والخصوص، إذ أن الكلام أعم، والخطاب أخص[٤]،

ولهذا فأسلوب خطاب الله ﷻ لنبينا ﷺ هو الأمثل كما سيأتي، والمناسب في بيان الفرق بين الخطاب والكلام لهذا البحث قول الكفوي: «هو الكلام الذي يقصد به الإفهام»[٥].

ولما كان بعض أهل مكة أشد الناس تعنتاً للدين، وأكثر خصومة ولدداً للنبي ﷺ؛ فلهذا كان الخطاب هو الأنسب في توثيق إيداع الطمأنينة في نفس المصطفى ﷺ؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى في ظل أدواء الجهل تحتاج الخطاب لتلبية حاجات النفس

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٩٨).

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص: ٤١٩).

وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٥)، وتاج العروس (١٧/ ٦٢٤) مادة (خ. ط. ب).

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مادة حور، والحكمة والحوار علاقة تبادلية (ص: ١٣٥)، أ. د. عباس محجوب.

(٤) ينظر: وجوه الخطاب في سورة الإسراء (ص: ١٥).

(٥) الكليات (ص: ٤١٩).

البشرية من مدحٍ وشهادة عدلٍ من ربٍّ العالمين، وتضمين الخطاب بما يناسبه من تهديد المعاندين، وغير ذلك مما يُشَدُّ به أزر نبينا محمد ﷺ، والبحث – بعون الله تعالى – يبين دقائق الخطاب.

ثانياً: الخطاب في التراث العربي:

مفهوم الخطاب ومصطلحه:

حاز نصيباً من العناية والدراسة عند الأصوليين، لما له علاقة وطيدة بالأحكام الشرعية التي أقرها الله ﷻ لعباده، وفرضها عليهم، وقد جاء مصطلح الخطاب عندهم من الله تعالى إلى عباده المكلفين بالأفعال على الاقتضاء أو التخيير[١].

كما أن الخطاب وتفسير معانيه وجد عناية بالغة عند المفسرين[٢]، عندما فسروا الآيات المباركة التي ورد فيها لفظ (الخطاب).

وكذلك حظي مصطلح الخطاب بالعناية والدرس في مختلف علوم العربية وعلوم القرآن الكريم[٣]، ولأهمية الخطاب جاءت بحوثه ودراسته في الكثير من أسفار العلماء مستفيضة في تعريفه وبيان أنواعه في القرآن الكريم، ولضيق المقام في أمثال هذه الأبحاث؛ فإنني اكتفيت بالإشارة إلى ذلك لأوجه صفحات البحث وطاقاته نحو الدراسة التطبيقية، وبالله التوفيق.

ثالثاً: التعريف بالسورة من حيث:

١- اسمها: سورة (القلم) وعدد آياتها (اثنتان وخمسون آية)[٤]، ومنهم من يسميها (ن)؛ لأنه مؤنث سمي به مؤنث[٥].

٢- مكان نزولها: مكية، ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل، ولقد ستثني منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ **[القلم:١٧]**

---

(١) ينظر في ذلك: المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) (١/ ٦٩)، الضياء اللامع شرح جمع الجوامع للسبكي (ت: ٧٧١هـ) (ص: ١٤١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) وغيرهما من المفسرين.

(٣) مما لا يستع المجال هنا لتفصيله.

(٤) ينظر: الدر المنثور (٨/ ٢٤٠).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (١٦/ ٧٤).

إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ **[القلم:٣٣]**، فإنه مدني[١]، وأما سبب القول بأنها مكية ما ورد عن ابن الضرّيس عن ابن عباس ب قال: «كانت إذا نزلت فاتحة السورية بمكة كتبت مكية، ثم يزيد الله تعالى فيها ما يشاء[٢].

٣- أسباب نزولها: نزلت آياتها متفرقة بحسب المناسبات، كما جاء في كتب أسباب النزول، أن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ **[القلم:٤]** أنزله ثناء على خُلق رسول الله ﷺ، عن السيدة عائشة ل قالت: «ما كان أحد أحسن خُلُقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة، ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك»[٣].

٤- مكانة السورة بين السور: أن سورة (العلق* هي أول ما نزل من السور المباركة لبيان أصول الدين، وفيها الدلالة العقلية على ثبوت وجود خالق لهذه المخلوقات وحده، وأن الرسول ﷺ صادق في دعوته، كما ذكرت المعاد وثبوته[٤]، وقول الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ...﴾ **[العلق:١]** أمر بالقراءة لا بتبليغ الرسالة، وقول الله تعالى: ﴿...عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ **[العلق:٤]** أطلق التعليم والمعلم، ولم يخصص[٥].

ثم في سورة (المدثر) أُمر الرسول ﷺ بالإنذار قال تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ **[المدثر:٢]**، وبذلك صار رسولاً منذراً[٦]، فناسب في سورة (القلم) أن يشهد لرسوله ﷺ بحسن الخُلق ومكارم الأخلاق التي هي جماع الدين كله؛ لأن الخلْق والخلُق صورتان: الأولى صورة الظاهر، والخُلُق صورة الباطن؛ فتناسبت الأعضاء الظاهرة، مع المعاني الباطنة[٧].

واكتمل عقد المعاني في تلك السور بما يظهر أهمية الرسول ﷺ وأن يختص بلطف الخطاب في هذه السورة؛ بأن اللطف من حسن الخلق الذي عليه قوام الدين، ويكون التناسب بين المعاني واضحاً.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (١٦/ ٧٤)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠١).

(٢) ينظر: الدر المنثور (٨/ ٢٤٠).

(٣) أسباب النزول للكلبي، تحقيق الحميدان (ص: ٤٤٣).

وينظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص: ٢١٨).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ١٤٩).

(٥) ينظر: المصدر ذاته (١٦/ ١٥٥- ١٥٦).

(٦) ينظر: المصدر ذاته (١٦/ ١٥١).

(٧) ينظر: نظم الدرر (٢٠/ ٢٩٣).

المبحث الأول: أنماط خطاب الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ

المطلب الأول: التلطف بإعظام القسم

قول الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ **[القلم:١]**

ارتباط الآية بما قبلها: مما جاء في سورة (الملك) قول الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٩﴾ **[الملك:٢٩]**، ذلك أنه لما كان المخاطب هو النبي ﷺ وهو على أعلى قدرٍ من الحكمة، ورجاحة العقل طراً، بشهادة قومه له، حيث وصفوه بالأمين قبل أن يبعث، ولم يتجدد من صفات كماله إلا نعمة النبوة، التي لم ينل أحد مثلها في دهرٍ ولا عصرٍ، مما جعلهم يصفونه بالجنون الذي منشؤه الضلال والزيغ عن الحق الذي جاء ذكره في أواخر سورة الملك[1]؛ لهذا ناسب في سورة (القلم) أن يقسم على عظمة خُلق الرسول ﷺ، وأن يعظم في القسم، ليكون الكلامُ أكثر تأثيراً في نفس خليل الله وصفيه، وبياناً عن مكانته، وكشفاً لمنزلته ﷺ عند ربه ﷻ، والله أعلم.

كما أن آيات الشاهد المباركة جاءت رداً على قوله: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦﴾ **[الحجر:٦]**، والمراد نفي الجنون على من أنعم الله تعالى عليه بالنبوة والحكمة، وظاهر النعم من الفصاحة التامة والعقل الكامل والأخلاق الحميدة[2]، وهذا يبين عظمة نبينا محمد ﷺ، ورفعة مقامه عند الله ﷻ؛ لذلك جعل لخطابه في القرآن الكريم شأواً بعيداً، وأساليب متنوعة، ومنها القسم، ليزيل من نفس النبي ﷺ ويمحو دقائق جروح قد خلفها وصفهم له بالكذب، فقال سبحانه: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ وبتأمل افتتاح السورة المباركة بأحد الحروف المقطعة[3]، وهو من حروف الهجاء التي افتح بها الله ﷻ بعض سور القرآن الكريم، ولم تذكر في افتتاحية السور المباركة إلا وعقبها بذكر القرآن الكريم، إما مقسماً به، وإما مخبراً عنه، ما خلا سورتين، وهما (كهيعص)، و(ن)، وهذه الحروف هي: (ن، ق، ص) ويستدل من ذلك على عظم هذه الحروف، وجلال قدرها، إذ هي مباني كلام الله تعالى، ومباني كتبه التي تكلم بها وأنزلها على رسله عليهم السلام، وبها عرفهم على أسمائه وصفاته وأفعاله وأوامره

([1]) ينظر: نظم الدرر (٢٠/ ٢٨٦).

([2]) ينظر: تفسير الخازن (٦/ ٢٤٧).

([3]) ينظر: المحرر الوجيز (١٦/ ٧٣)، وهو قول جمهور المفسرين.

ونواهيه، ووعده ووعيده، ودلهم بواسطتها على الخير والشر، والحسن والقبيح، فاهتدى بعد ذلك من اهتدى، وبهذه الحروف أقدر الله ﷻ الخلق على التكلم والتعبير عما في نفوسهم، وذلك من أعظم آياته سبحانه، ولهذا عاب سبحانه على من عبد إلهاً لا يتكلم، والعبد يتكلم؛ لهذا عظُم قدر افتتاح السور المباركة بهذه الحروف؛ لأنها كذلك تنبه على كمال الربوبية، وعظُم إحسانه إلى خلقه؛ لهذا كان الأولى أن يقسم بها من أن يقسم بالليل والنهار، والشمس والقمر – وغيرها – لدلالتها الظاهرة على وحدانية الله تعالى وعلى كمال قدرته وحكمته[1].

ومنهم من قال: بأن (ن) اسم الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع كما يروى، وبذلك جعلوا (القلم) مراد به القلم الذي خلقه الله ﷻ وأمره بكتابة الكتب، والضمير في (يسطرون) للملائكة، ومن فسر (ن) بأنه اسم للدواة، فناسبه أن يكون (القلم) المتعارف عليه بأيدي الناس، ويكون الضمير في (يسطرون) للناس[2].

الافتتاح بحرف (ن) والقسم به، وما دل عليه **القسم الأول** ويعد مقدمة متناسبة متوافقة مع عظمة المقسم به، والمقسم عليه.

فأما **المقسم به الثاني** فهو (القلم): وأرى برأي من يقول أن المراد بالقلم هنا: القلم الذي تكتب الملائكة به تقارير العباد، مضمنة الأمر والنهي والإرادة والعلم المحيط بكل شيء؛ لهذا فإن القسم بالقلم يتضمن أمرين:

الأول: من علِم بالحوادث وأحاط بها قبل وقوعها أبلغ ممن علمها بعد حصولها، فإخباره عنها أحكم وأصدق.

الثاني: أن حصوله في الكتابة وتقدير ما سيكون، يتضمن حصوله في الكلام والقول والعلم من غير العكس؛ فلهذا القَسَم بالعلم يتضمن القول والكلام؛ ولهذا لا يكون العكس، والقسم بالقلم دليل على استقرار العلم إذا صار مكتوباً، فليس كل معلوم مقولاً، ولا كل مقول مكتوباً، وبهذا نتبين حكمة الإخبار عن القدر السابق بالكتاب دون الكتاب فقط، أو دون العلم فقط[3].

([1]) ينظر: بدائع التفسير (٤/ ٤٩٩– ٥٠٠).

([2]) ينظر: المحرر الوجيز (١٦/ ٧٣– ٧٤)، وينظر: البحر المحيط (٨/ ١– ٣).

([3]) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٥).

المقسم به الثالث: قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾

الواو: للقسم.

(ما): ورد في مدلولها أنها موصولة، أو مصدرية[1].

وأرجح كونها موصولة؛ لأنها اسم موصول، والتعبير بالاسم الموصول (ما) يقصد به الذوات[2]، إذ المراد القسم بذات ما يسطر، مما تقدم ذكره، وإذا قدرت (ما) بأنها مصدرية فيكون المعنى: وسَطْرِهم الكتابة مسطوراً[3].

و(يسطرون) من سطر: السَّطْرُ، والسَّطَرُ: الصف من الكتاب والشجر والنحل ونحوها/ والسَّطْر: الخط والكتابة[4]، والمراد هنا: المثبت المحفوظ[5]، فدل بذلك على أن المراد بالقلم الذي خلقه الله تعالى، وبه تكتب الملائكة[6]، ومعلوم أن ما كتبه الله ﷻ مثبت محفوظ لا يمحى إلا بأمر الله تعالى – والله أعلم –.

والغرض من القسم بالقلم والكتابة للإشارة إلى السبب الذي من أجله وصف الرسول ﷺ بالجنون[7].

المطلب الثاني: التلطف في خطاب الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ **[القلم:٢ – ٤].**

المراد من الآيات المباركة وارتباطها بسابقتها: أنها جواب للقسم الذي في مستهل السورة المباركة، والغرض منه نفي ما رمت به قريش رسول الله ﷺ وهو الجنون، ثم أخبر رسوله الكريم ﷺ بأن له الأجر، ومما زاد في مدحه عليه السلام ونفي صفات الذم عنه، شهادة رب العالمين له بأنه على خلق عظيم تشريفاً وتكريماً[8]،

---

(1) ينظر الكشاف (٤/ ٥٧٣).

(2) ينظر: حاشية الصبان (١/ ٢٣٩)، ومعاني النحو (١/ ١٢٣).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٦٠).

(4) ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٦٣)، مادة (سطر).

(5) ينظر: المفردات (ص: ٢٣٢).

(6) وقد سبق آنفاً تفصيل ذلك.

(7) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٦١).

(8) ينظر: المحرر الوجيز (١٦/٧٤ – ٧٥).

والخطاب في هذه الآية المباركة تميز بنمط خاص عن غيره ؛ لمناسبة سياق الآيات التي جاء من أجلها، ذلك أن المصطفى ﷺ لما لاقى من قومه شدة التكذيب، واتهم بالجنون، وهو سيد الخلق أجمعين، وأكملهم خَلْقاً وخُلُقاً حتى قبل أن يوحى إليه؛ فعندما اشتد الأمر وعظم جاء خطاب الله ﷻ له لطيفاً، تسلية بتأكيد نفي الجنون عنه، ويترتب على نفيها إثبات نقيضها، وهو كمال العقل، بإثبات أن الرسالة من عند الله تبارك وتعالى، ثم إثبات الأجر العظيم الذي لاينقطع، ولمزيد إدخال السرور على نفس الرسول ﷺ أعلن له الشهادة بذلك، والله أعلم.

ولقد تفرد خطاب الله ﷻ لنبينا ﷺ معظماً بالقسم؛ ليأنس به المصطفى، ولتقر عينه، ويهنأ عيشه، وليكبت عدوه ومبغضه؛ لذلك أقسم المولى تبارك وتعالى بالنون والقلم، ومايكتب به من الأعمال، ثلاثة أقسام متتالية، والمقسم عليه ثلاث جمل، وهي نفي الجنون عنه، وإثبات كمال العقل والخلق والأجر العظيم[1].

ونتبين كذلك لطف خطاب الله ﷻ لنبينا ﷺ عندما أقدم دراسة لدقائق الآيات المباركة، التي تجاورت مفرداتها وانتظمت في عقد خطاب الله ﷻ لنبينا ﷺ حيث يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ **[القلم:٢]**.

استهلت الآية الكريمة بـ(ما) لنفي الجنون عن الرسول ﷺ وهو الغرض الأسمى فيها، وهي عاملة لها اسم وخبر؛ لأن الباء دخلت على الخبر، وأما قول الله تعالى: (بنعمة ربك) فهي جملة معترضة، كما يقول القائل: «أنت بحمد الله فاضل»، وسبب نزول هذه الآية الكريمة، أن من قريش من رمى النبي ﷺ بالجنون، فنفت الآية الكريمة عنه ذلك وأثبتت نقيضها، وهو الخلق العظيم تشريفاً ولطفاً[2].

ثم التعبير بضمير المخاطب مفرداً (أنت)، إشعار بمعية الله ﷻ لنبيه خاصة، وبيان لخصوصية الخطاب للمخاطب، وفي تقديم ضمير المخاطب مفرداً تعريض بالذين اتهموه عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو يشعر بأن كفته ﷺ مفرداً رجحت بكل من عداه، وتدل كذلك على الاستهانة بأمر من شان نبيه ﷺ، والله أعلم.

---

(1) ينظر: تفسير البغوي (٦/ ٢٤٦ – ٢٤٧).

(2) ينظر: المحرر الوجيز (١٦ / ٧٤-٧٥).

ومجيء الباء في قول الله تعالى : (بنعمة) سببية أو للملابسة[1]، والنعمة مفردة، تدل على عظمها، وهي نعمة الإسلام، وحكمة القرآن الكريم، التي هي منبع كل خير وأساس كل فضل – والله أعلم – .

وأضيفت النعمة إلى اسم الربوبية (ربك) ليبين لنبيه الكريم بأنه المخصوص بنزول القرآن الكريم؛ ولهذا كان أكمل الناس أخلاقاً وأحسنهم أفعالاً وأتمهم همة[2].

وفي قوله تعالى: (بمجنون) الباء زائدة لتأكيد نفي ما نسبه كفار مكة إلى نبينا ﷺ حسداً منهم على نعمة العلم التي لم يصل إليها أحد قبله أو بعده، فضلاً عن نعمة النبوة[3].

والجنون: من جنن، وجنَ الشيء ستره، وكل مستور عنك فقد جنَ عنك، وقيل: جن الليل اشتدت ظلمته، وقيل: اختلاط ظلامه[4]، والمعنى الأخير هو الأنسب، بمعنى أن كلامه مختلط متداخل – حاشا نبينا عليه الصلاة والسلام .

وهذا هو مقصد السورة المباركة نجده قد ارتبط بخاتمتها، قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ **[القلم: ٥١]** كما ترتبط بمقصدها الأول، وهو نفي الجنون عنه ﷺ، وبيان أن الحقد والحسد هما الدافع الأول لرميه ﷺ بالجنون، والله أعلم.

وتزداد المؤثرات بعد أن اتخذ الخطاب بوناً أرحب، ونمطاً مميزاً، في قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ **[القلم: ٣]**، بأن عجل لنبيه ﷺ بالبشرى؛ بأنه سيخصه بالأجر والمثوبة التي لا تنقطع أبداً جزاء على صبره على أذى المشركين، وبتأمل دقائق المؤثرات النفسية على الرسول ﷺ نجدها تقدمت الآية الكريمة بـ(إن) التي للتأكيد، ثم (الجار والمجرور): مقدماً على المسند إليه، ودخول (اللام المزحلقة) على الخبر للتأكيد والغرض منه تعظيم الأجر؛ لإزالة كل أثر للحزن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ **[النمل: ٧٠]**.

---

(1) ينظر: الدر المصون (١٠/ ٤٠٠).

(2) ينظر: نظم الدرر (٢٠/ ٢٨٧).

(3) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٠٢).

(4) ينظر: لسان العرب (١٣ / ٩٢) مادة (جن).

ومجيء الأجر نكرة لـ(أجراً) دليل على كثرته، بدليل أنه غير منقوص ولا مقطوع ولا لأحد منة عليك، لأنه مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ[1].

ولفظ الآية ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ يدل على الاستعلاء والتمكن من الأجر على ما تحملته من مشقة عظيمة في تبليغ الرسالة، ثم وصف الأجر بأنه (غير ممنون)، وممنون: من (منن): منه، يمنه، بمعنى قطعه، والمنين: الحبل الضعيف، وكل حبل نزح به أو متح فهو منين، «وهذا اللفظ من الأضداد، حيث إن المنين تأتي بمعنى الحبل القوي أيضاً»[2]، وبهذا يتأكد وصف الأجر بأنه قوي وكثير وغير ممتنع.

ويبرز علم البديع بالجناس الناقص بين لفظتي: (مجنون، وممنون)، مما يوحي بأن ما اتهم به ﷺ من الجنون لا يليق بأمثاله، فجاء في الآية التالية بما يجانس اللفظ وزناً وحرفاً، ولكن التجانس بين الكلمتين في رسم بعض حروفهما – والله أعلم – .

كما يؤدي الجناس الناقص إلى التجانس الصوتي عن طريق اتحاد الفاصلتين، فيبث في نفس الرسول ﷺ السكينة والاستقرار كما استقرت الفاصلتان في مكانهما، والله أعلم.

ولقد عطف على الخطابين السابقين الخطاب الثالث قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ **[القلم: ٤]** وهذا التلطف في الخطاب فيه شهادة عظمى وهو على الملأ، ويزيده تعظيما، كونه من لدن حكيم خبير برسوله ﷺ، حيث تتوالى المؤكدات على تلك الشهادة: إن واللام واسمية الجملة، ولما علم المولى تبارك وتعالى بزيادة تكذيبهم زاد في المؤثرات النفسية، فقال: (لعلى خلق)، مؤكداً سمو خلقه باللام المزحلقة، ودل حرف الجر (على) على زيادة تمكنه من الأخلاق السنية، وزاد في وصفها بقوله سبحانه: (عظيم)، ولا أخلاق أعظم من أخلاق الدين الذي تمكن منه صلى اله عليه وسلم فضل تمكن[3].

ويزداد المعنى تأثيراً في النفس باستعارة اللفظ (عظيم) من ضخامة الجسم، ولشيوع هذه الاستعارة في الاستعمال أصبحت كالحقيقة[4]، والغرض من الاستعارة تصوير الرسول ﷺ وقد علاها الخلق الرباني، مما يبعث في نفس من يراه هيبة و وقاراً. والله أعلم.

---

(1) انظر: أبو السعود ٩/ ٢ .

(2) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٤١٥) مادة (منن).

(3) ينظر: نظم الدرر (٢٠ / ٢٩٢).

(4) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩ /٦٣).

المبحث الثاني: التلطف في خطاب الله ﷻ لتثبيت نبينا ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تلطف خطاب الله ﷻ بضمان الوعد لنبينا ﷺ

قال الله تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ **[القلم: ٥-٦]**

المراد من الآيتين وارتباطهما بسابقتهما:

لما أقسم ﷻ في الآيات السابقة على نفي تهمة الجنون عن نبينا محمد ﷺ، وأثبت له كمال العلم الذي يدل على كمال العقل، ناسب في آيات الشاهد المباركة، أن يشير إلى دلائل إعجاز نبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام بما سيحدث من صادق الأخبار في المستقبل[١].

ويتجلى لطف خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ في صيغ المفردات، وتركيب الآيتين وأسلوبهما، حيث الإعراض بالخطاب عن المكذبين إقلالاً من شأنهم، وحطاً من قدرهم حتى عن منزلة الوعيد والتهديد المناسبتين لمقام التكذيب؛ لهذا استأثر الله ﷻ نبيه ﷺ بالخطاب وبصيغة المفرد، رفعاً لشأنه، وبياناً لمكانته عند ربه ﷻ والله أعلم؛ ثم قال عز من قائل: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾: (الفاء): للتفريع على قوله سبحانه ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ **[القلم:٢]**؛ لأن من نعم الله تعالى على نبينا ﷺ إبطال ما قالوه في شأنه ﷺ، وتفرع على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾[٢]؛ للتحقق مما سيحل بهم، ومن ثم يعلمون من هو المفتون المختل في عقله – حاشا نبينا ﷺ– والمقصود بالبصر هنا: العلم بما سيحدث لهم روى ابن كثير: «قال ابن جريج: قال ابن عباس: في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة»[٣] ، ويرى ابن قيم الجوزية: «أن يبصر مضمن يشعر ويعلم»[٤]، وذلك أنه مناسب لسياق السورة، ومرتبط بالغرض منها وهو أن هذا الوعد والوعيد فيه طمأنينة لنفس نبينا ﷺ، وللمؤمنين معه[٥]، ومناسب من حيث إن العقوبة ستحل

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢٠: ٢٩٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٤٤).

(٤) بدائع التفسير (٤/ ٥١١).

(٥) ينظر: في ظلال القرآن (٦/٣٦٥٨).

بالمكذبين في الدنيا بالقتل كما شهدت بذلك المعارك بين المسلمين وبين الكافرين، وأيضاً ما سيؤولون إليه في الآخرة من العذاب المقيم – والله أعلم –.

ثم أكد ذلك بالسين والتاء، الدالتان على الاستقبال، مما يبهج صدر المصطفى ﷺ بما سيكون عليه مستقبل الدين – بأذن الله – .

وبتأمل الفرق بين اللفظتين (ستبصر ويبصرون) حذف المفعولين للتهويل، وهو ما يسمى بإيجاز قصر، ليس للكلام العربي عهد به، إذ صور كل ما سيحل بمن كذب برسول الله ﷺ وبمن اتهمه بما ليس فيه، وهو ما طال وصفه في سور أخرى، وأجد الحذف هنا مناسباً من حيث إن السورة وهذه الآيات إنما جاءت بألطف أسلوب وأجمل خطاب للنبي ﷺ فناسبه ذلك الحذف ليستأثر به ﷺ–والله أعلم –.

وفي قول الله تعالى: (بأيكم المفتون) قيل: الباء زائدة، وأن زيادتها في المبتدأ ضعيف، وإنما تزاد في بحسب درهم فقط[1]، ومنهم من يرى بأنها بمعنى (في) [2]، وأرى أنه الرأي الأوفق؛ لأنه يفيد معنى في أي فريق يكون المفتون .

(أي): مشتقة من التأيِي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء[3]، وهذا يدل على الاستغراق والإقامة على كفرهم بل وجنونهم بدليل فساد كلامهم– والله أعلم –.

و(المفتون): الفاء والتاء والنون أصل واحد يدل على الابتلاء والكفر[4]، وهو المعنى الألطف في خطاب نبينا محمد ﷺ «والاستفهام عن أمر دائر بين اثنين، قد علم انتفاؤه عن أحدهما قطعاً، فتعين حصوله للآخر»[5]، حيث إن الخطاب للفريقين في هذه الآية تلطف بنفس المصطفى ﷺ فلم يذكر الوصف بالجنون، ليكون المعنى أنتم أهل الابتلاء بالكفر والجنون – والله أعلم –.

والتعبير بصيغة مفتون على وزن مفعول يفيد استغراق الكفار في كفرهم وتخبط آرائهم، والله أعلم.

---

(1) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص: ٧٩٨)، وينظر: إعراب القرآن للأصبهاني (ص: ٤٥٩)، وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٥).

(2) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٤٧)، وينظر: الوقف والابتداء (ص: ٧٩٨).

(3) ينظر: المفردات (ص: ٣٣).

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٣، وينظر: لسان العرب (١٣/ ٣١٧)، مادة (فتن).

(5) بدائع التفسير لابن قيم الجوزية (٤/ ٥١٠).

وفي الآية الكريمة تعريض بمن قال في أول السورة المباركة: (إنك لمجنون)[1].

المطلب الثاني: خطاب الله ﷻ شهادة لنبينا ﷺ بالهداية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ **[القلم:٧]**

معنى الآية الكريمة وارتباطها بسابقتها:

الآية فيها وعد للمهتدين ووعيد للمكذبين، وبيان للحكمة الإلهية من إرساله ﷺ، وبيان بأن الله تعالى لا يهدي إلا من هو للهداية أهل[2].

والآية ترتبط بسابقتها التي تخبر عن جنونهم الناشئ عن ضلالهم بقولهم: مجنون – حاشا نبينا عليه الصلاة والسلام – وذلك القول يترتب عليه محاورات ليس فيه إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً؛ لذلك استأنف آية الشاهد المباركة بالقطع ببراءة النبي الكريم مما يقولون[3].

والشهادة تستلزم من الشاهد المؤكدات، ولما كانت الشهادة بتبرئة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فإن المتأمل لدقائق التراكيب يجد كثرة المؤكدات وفي آية واحدة لحشد أقوى المؤثرات في نفوس المستمعين على اختلافهم في كل زمان.

ولما كانت صيغة الخطاب تعليل لما سبق به الحكم على المكذبين بأن الجنون صفتهم، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو المبرأ من ذلك، أكد مطلع الآية الكريمة بـ(إنَ) و(الجملة الاسمية) ، في قوله تعالى: (إن ربك)، والتعبير باسم الربوبية؛ ليشعر المصطفى عليه الصلاة والسلام بلطفه وقربه منه، ويذكره بأن الذي رباه وأحسن إليه سيدفع عنه كل مايسيء إليه[4].

ولما كان أفضل العالمين وسيد بني آدم ﷺ وهو المعني الأول بالخطاب؛ توجه الله ﷻ إليه بالخطاب وبصيغة المفرد إعلاء لشأنه وزيادة رفعة من قدره؛ وليكبت عدوه، ويزداد الأسلوب قوة، في التعبير بضمير الفصل (هو) وبصيغة التفضيل في

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٦٧).

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٩٠٨).

(3) ينظر: نظم الدرر (٢٠/ ٢٩٥).

(4) ينظر: نظم الدرر (٢٠/ ٢٩٦).

قوله تعالى: (هو أعلم)؛ لبيان اختصاص الله تعالى وحده بالعلم وليس غيره، والأسلوب تعريض بمن ادعى العلم برسالة النبي ﷺ وقال بأنه مجنون – والله أعلم –.

ويرى أبو حيان أن (بأيكم المفتون) كناية عن جزاء الفريقين[١]، بدليل تفنيد نوعهما من كان في ضلال ومن اهتدى– والله أعلم –.

وفي قول الله تعالى: (بمن ضل عن سبيله)، الباء حرف جر لا يحتاج إلى إضمار فعل[٢]، تفيد إلصاق الضلال بهم وأنه ليس عارضاً، و(من) من ألفاظ العموم[٣] دلت على إحاطته بكل ضال .

والفعل (ضل) من الضلال وهو العدول عن الطريق المستقيم، ويقال: ضلال لكل عدول عن المنهج السليم سواء العمد أو السهو، والقليل منه والكثير[٤]، والتعبير بالفعل الماضي يفيد أن الحكم بالعذاب يكون لمن ظل ودام على ضلاله، ولهذا قيد الضلال هنا بكونه عن سبيل الله ﷻ، لأنه أعظم السبل، والله أعلم.

والمراد من السبيل هنا: الطريق الذي فيه سهولة، ويستعمل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً أو شراً[٥]، وعندما أضيف إلى الله تعالى (سبيله) اكتسب خصوصية، أي: طريق الهدى الذي دعا إليه، وهو الدين الإسلامي – والله أعلم –.

في قول الله تعالى: (وهو أعلم بالمهتدين) يتزايد اللطف ويزداد الأسلوب جمالاً وهو يصف النبي ﷺ، أولاً حيث طابق بين الوصفين (ضل واهتدى) ثم حين عرف الوصف في (المهتدين) بالألف واللام التي للعهد، لبيان مزيد من أوصاف الرسول ﷺ وصيغة الجمع تشمل أصحابه الكرام وهو على رأسهم ﷺ.

وإعادة (هو أعلم بمن ضل عن سبيه وهو أعلم بالمهتدين) لزيادة التقرير[٦]، ولبيان أن الفريقين في شأنين مختلفين لا يمكن أن يجمع بينهما في صيغة واحدة، والله أعلم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٠٣).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (١٦/ ٧٦).

(٣) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (ص: ١٤٤).

(٤) ينظر: المفردات (ص: ٢٩٧).

(٥) ينظر: لسان العرب (١١/ ٣١٩) مادة (سبل).

(٦) تفسير أبي السعود (٩/ ١٢).

وقدم علمه بالضالين على المهتدين لفرط اتصاله بما سبق من تهديد ضمني ووعيد[1].

وبهذا التوافق نتبين تحقق علاقة المطالع بالمقاطع وارتباطهما بالمقصد الرئيس للسورة المباركة. – والله أعلم –.

(1) ينظر تفسير القونوي (ص: ٢٦).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد تناولت في هذا البحث (التلطف في خطاب الله ﷻ لنبينا ﷺ آيات من سورة القلم: دراسة بلاغية تحليلية كلية).

ومن أبرز النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة مايلي :

١- يعد الخطاب في القرآن الكريم من أظهر الأساليب البلاغية، يؤدي بها معاني كثيرة ومتعددة.

٢- يُوجه الخطاب القرآني حسب الحاجة إليه، مدحاً أو ذماً، تهديداً أو وعيداً، وغير ذلك .. يؤدي كل ذلك بطرق مختلفة، وبصور تناسب السياق والغرض الذي من أجله جاء بأسلوب الخطاب.

٣- افتتاح السورة الكريمة بالقسم لتسلية الرسول ﷺ، وإدخال السرور على نفسه.

٤- أن المقسم عليه هو رفعة أخلاق النبي ﷺ، دليل على تمجيد الدين الإسلامي للأخلاق الكريمة، وبيان أنه لا شيء يعدلها في الميزان بعد الإيمان بالله تعالى.

٥- تبين الآيات المباركة أن خلق الرسول الكريم هو الأسمى بشهادة رب العالمين له .

٦- افتتاح السورة الكريمة بـ(ن)، استأنست بما ورد في تفسيره في بدائع التفسير؛ من أنه من الحروف المقطعة مثل (ص، ق، ن) وغيرها، وهي على قدر كبير من شرف القدر؛ لأنها من مباني كلام الله ﷻ، وبها نزلت كتبه، أي أن أفضل الكلام وأشرف المكتوب كان من تركيب هذه الحروف، والافتتاح بها مناسب لقضية الجنون التي اتهم بها المصطفى ﷺ؛ ولأن الداعي إلى تكذيبهم هو العلم العظيم، والكتاب الكريم الذي أنزل عليه، بدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ **[القلم: ٥١]**[1].

([1]) ينظر: بدائع التفسير (٤/ ٤٩٩.

٧- تميزت الآيات محل الدراسة بلطف خطابها مع رسول الله ﷺ مع تضمنها الوعيد والتهديد لمن كذبه، ورماه بالجنون – حاشا رسول الله ﷺ – دون الإخلال بعذوبة الخطاب ولطفه مع الرسول ﷺ.

٨- حشد العديد من المؤثرات كالقسم بل والإعظام فيه بتعدده، وإن والجملة الاسمية.

٩- المقسم به مما له صلة بالعلم بل هو من أدواته مثل: الحروف والقلم والسطر .

١٠- صيغة المفرد والمواجهة بالخطاب دليل على تكريمه وتأنيسه ﷺ.

١١- الإيجاز في التعبير بصور علم البيان، حيث اقتصر على استعارة واحدة وكناية واحدة.

١٢- الإعجاز في تكرار الروابط مثل الباء دون إخلال بالمعنى أو الخروج عن القواعد النحوية الصحيحة.

١٣- ومما يدل على غضب المولى تبارك وتعالى على المكذبين الإعراض عن خطابهم.

١٤- الدراسة في سورة (القلم) ممتعة وشيقة، ولم يمنع من إتمامها إلا أن مثل هذه الأبحاث يلزم بعدد محدد من الصفحات.

التوصيات:

١- يمكن للدارسين في هذه السورة الكريمة أن يستخرجوا درر ضرب المثل بأصحاب الجنة، وبصاحب الحوت .

٢- بيان العلاقة بين القصتين وأوصاف الرسول الكريمة .

٣- الحجاج في السورة وأركانه المرتبطة بالعقيدة.

هذا والله أعلم، وهو ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

١- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد. عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة ١٩٨٨م.

٣- إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي دار الجيل

٥- بدائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية)، جمع وتوثيق: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي ، الدمام (ط١) ١٩٩٣م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٨- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٩- تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ت (٩٥١هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٠م.

١٠-تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرين. دار الكتب العلمية، بيروت، (ط ١) ٢٠٠١م.بدائع التفسير
١١-تفسير البغوي معالم التنزيل في التفسير والتأويل، تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت (٥١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٥م، بدون طبعة.
١٢-تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
١٣-تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
١٤-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٥-حاشية الصبان على شرح الأشموني لمحمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ) تحقيق: إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت، (ط ١) ١٩٩٧م.
١٦-حاشية القُونوي على تفسير الإمام البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، لعصام الدين إسماعيل محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ)، ومعه حاشية ابن التمجيد، تحقيق: عبد الله عمر، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١)، ٢٠٠١م.
١٧-الحكمة والحوار علاقة تبادلية ، أ. د. عباس محجوب، جدارة للكتاب العالمي، عمان – الأردن، عالم الكتب الحديث، إربج- الأردن، ٢٠٠٦م.
١٨-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٦٨ م.
١٩-الدر المنثور في التفسير بالماثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت:(٩١١هـ)، تحقيق : مركز هجر للبحوث، دار هجر – مصر.

٢٠-الضياء اللامع شرح جمع الجوامع للسبكي، حلولو أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الزليطي القروي المالكي، تحقيق: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.، أ. د. سعد

٢١-في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشرة – ١٤١٢ هـ.

٢٢-القاموس المحيط، لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي (ت ٧١٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت (ط ٧) ٢٠٠٣م .

٢٣-كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، (توفي بعد ١١٥٨هـ) دار الكتب العلمية ،بيروت، (ط٢)، ٢٠٠٦م .

٢٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢٥-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط ٢) ١٩٩٨م.

٢٦-لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، (ط٢) ١٩٧٩م .

٢٧-لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

٢٨-مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمعها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، رحمهما الله تعالى، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار، مكتبة العبيكان، المملكة العربي السعودي – الرياض، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٧٧.م

٢٩-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦كـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١) ٢٠٠١م.

٣٠-مدخل إلى البحث البلاغي أ. د. إبراهيم صلاح الهدهد، مطبعة دار الإيمان.

٣١- المستصفى في علم الأصول، تأليف : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى : ٥٠٥هـ)، تحقيق : محمد بن سليمان الأشقر، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤١٧هـ _١٩٩٧م.

٣٢- معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط ١) ١٩٩٠.

٣٣- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن.

٣٤- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، طبعة جديدة مصححة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٣٥- مفردات الألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم ،دمشق الدار الشامية ، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٦- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو ١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، مصر، ٢٠٠٨هـ.

٣٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

٣٨- الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن سَعْدَان الكوفي النّحويّ المقرئ الضَّرِير (المتوفى: ٢٣١ هـ)، تحقيق: أبي بشر محمد خليل الزروق، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.